إشراك المجتمع المحلي في حماية الموروث والآثار في قورينا (كيريني)

Involving the Local Community in the Protection of the Heritage and Archaeology of Cyrene

الكاتب: د. أحمد عيسى فرج عبدالكريم.
ترجمة: د. محمد عمر محمد عبدربه
أستاذ مساعد بقسم الآثار/ جامعة عمر المختار

الاستلام: 2023/6/5 القبول: 2023/6/20

المستخلص:

هذه المقالة هي ترجمة إلى اللغة العربية، لمقالة باللغة الإنجليزية، كاتبُها (د. أحمد عيسى فرج عبد الكريم/ أستاذ مُشارك بقسم الآثار/ جامعة عُمر المختار). وقد نُشرت المقالة الأصل بمجلة الدراسات الليبية بلندن في عددها رقم 44 للعام 2013 في الصفحات من 103-106.

تطرح هذه المقالة مشروعاً مهماً نُفِّذ في مدينة شحات، أو ما تُعرف قديماً باسم (قورينا/ كيريني)، يهدف إلى إشراك المجتمع المحلي في حماية التراث الأثري. ويناقش الكاتب في هذه المقالة الدور المهم الذي يمكن للمجتمعات المحلية أن تلعبه في حماية المواقع الأثرية والموروث الثقافي بشكل عام، لكون المجتمع المحلي شريكاً أساسياً في هذا الموضوع، وذلك لا يتأتى إلا في حالة عرف المجتمع المحلي القيمة الكبيرة والمهمة لهذا الموروث الثقافي وقدَرها.

ومن هنا يرى الكاتب أن تثقيف المجتمع وإعلامه — وبخاصة الأجيال القادمة - هي من الوسائل المهمة والناجعة لضمان حماية فعلية للتراث الأثري، ليس في شحات فقط، بل في عموم البلاد، وأنه لتثقيف هذه الأجيال لا بد- حسب مُبادرة الكاتب- من البدء والاستمرار في خطوات عدة، منها- على سبيل المثال لا الحصر- إلقاء سلسلة من المحاضرات في المدارس، وتنظيم زيارات ميدانية للمواقع الأثرية، وإدراج التوعية المجتمعية في هذا الصدد في المناهج الدراسية.

Abstract:

This article is an Arabic translation of an English article by Dr. Ahmad Issa Faraj AbdulKareim (Associate Professor in the department of Archaeology/ Omar Al-Mukhtar University). The article was published in 2013 in the Journal of Libyan Studies/ London, volume 44, pages 103106-.

This article presents an important project that was implemented in the city of Shahaat (ancient Cyrene), aiming to involve the local community in protecting the archaeological heritage. In this article, the author discusses the important role that local communities can play in protecting archaeological sites and cultural heritage in general, considering the local community as an essential partner in this matter, and this can only be achieved if the local community knows and appreciates the great and important value of this cultural heritage.

The writer believes that educating and informing the community - and future generations in particular - is one of the very important means to ensure effective protection of the archaeological heritage - not only in Cyrene, but throughout the country. Also, according to the writer's initiative, that to educate these generations, it is necessary - to start and continue in several steps, including delivering a series of lectures in schools, organizing fleld visits to archaeological sites, and inserting community awareness into the school curriculum.

مقدمة:

مدينة شحات القديمة أو (قورينا/ كيريني) هي واحدة من أهم المواقع الأثرية في العالم، وهي مُسجّلة في قائمة مواقع التراث العالمي منذ عام 1982، وهي واحدة من خمسة مواقع في ليبيا، مُدرجة الآن على قائمة التراث العالمي.

إلا أنه- ومع الأسف- فإن هذا الموقع أصبح تحت التهديد لأسباب عدة، وقد لاحظت لجنة التراث العالمي العديد من هذه التهديدات ودونتها؛ ولذلك فقد طُلب من مصلحة الآثار الليبية -وفي أكثر من مناسبة- طرح حلولها في هذا الصدد[1].

لقد سبق أن حاول بعض علماء الآثار- ممن خبروا ليبيا وعملوا بها- لفت الانتباه إلى المخاطر والتهديدات التي تؤثر سلباً في الممتلكات الثقافية والآثار بشكل عام، وبناء عليه، فقد بدأت مصلحة الآثار في العمل على الحد من تلك التهديدات والمخاطر وحماية الموروث في جميع أنحاء ليبيا، وفي قورينا خاصةً[2].

التراث تحت التهديد:

موقع قورينا الأثري واقع تحت التهديد نتيجة العديد من العوامل التي يمكن تقسيمها بشكل عام إلى عوامل طبيعية وأخرى بشرية[3].

في الوقت الذي تتمثل العوامل الطبيعية في التهديدات الناتجة عن المناخ والغطاء النباتي، نجد أن العوامل البشرية مُتعددة وتشمل رعي الحيوانات في المواقع الأثرية المكشوفة داخل حدود المدينة القديمة، والحفر الناجم عن مسح أجزاء من ضواحي المدينة ومقابرها الأثرية لغرض الأنشطة الزراعية، بالإضافة إلى إنشاء طرق جديدة، وبناء عدد كبير من المنازل الحديثة داخل حدود موقع المدينة القديمة وفي ضواحيها، وبخاصة في المناطق المحتوية على مقابر أثرية.

هناك أيضاً ازدياد في عمليات التنقيب السرية لغرض سرقة الآثار، وخاصة في منطقة المقابر الشاسعة وفي عدد من المواقع بضواحي المدينة، ناهيك عن المشاكل المتزايدة، الناجمة عن السياحة، لا سيما التلوث الناتج من رمي القمامة، والكتابة والرسم على الجدران، والحرائق المُدمرة التي قد تشب نتيجة لإيقاد النيران من قِبَل السُياح في أثناء

(1) UNESCO WHC 1982. http://whc.unesco.org/en/list/190/
(2) Bennett, P. and Barker, G. 2011. Protecting Libya÷s Archaeological Heritage. African Archaeological Review 25.5: 5—25; Cuttler et al. 2009. Changing perspectives on the city of Cyrene, Libya: Remote sensing and the management of the buried archaeological resource. Archéo Sciences 33 (suppl.): 65—67.
(3) Abdulkariem, A. 2011. Factors of Deterioration at the Archaeological Site in Cyrene. In Ensoli, S. (ed.), For the Preservation of the Cultural Heritage in Libya, a dialogue among institutions. Procedings of Conference 1—2 July 2011. Fabrizio Serra editore, Pisa/ Roma: 109.

نزهاتهم.

والسؤال المهم هنا هو: ما دوافع الناس لإتلاف تراثهم في مدينة قورينا؟ والجواب حتماً معقد ومُركب، بما أن هناك العديد من العوامل المُؤثرة في تدهور الموقع. وعلى أية حال، فإن السبب الأساسي في التهديد البشري الذي تتعرض له قورينا هو قلة المعرفة والوعي بالقيمة التراثية للموقع.

الأسباب الأخرى تشمل المكاسب الشخصية، كبناء منزل للسكن، أو حظيرة للحيوانات، أو الزراعة في الموقع الأثري، وغالبًا ما تُرتكب هذه التجاوزات حتى مع علم مُرتكبيها بأنها تتعارض مع الأعراف والقوانين السائدة.

نحو إشراك سُكّان قورينا في الحفاظ على تراثهم وحمايته:

لم تحاول مصلحة الآثار —حتى مؤخراً- إشراك عامة الناس في حماية موروث ليبيا والمحافظة عليه، بل عملت بشكل منعزل من دون إشراك المجتمع المحلي. ولم تحاول مصلحة الآثار أيضاً توعية الناس وتثقيفهم حول تراثهم وآثارهم، سواء بشكل مستقل أو عن طريق التعاون مع الآخرين، (مثل: المنظمات، أو المؤسسات التعليمية، أو منظمات المجتمع المدني).

إن نقص هذا التواصل لم يؤد إلى جهل المجتمع بالآثار والتراث فحسب، بل أيضًا إلى عدم فهم قيمة هذا التراث بالنسبة للمجتمع. هناك عامل آخر ربما ساهم أيضاً في هذا الوضع، وهو الموقف الذي اتخذه (نظام القذافي)، وذلك لرؤيته للمواقع الآثارية والتراثية في ليبيا على أنها من بقايا الاستعمار، ولا علاقة لها بالشعب الليبي[4].

إن إشراك المجتمع المحلي في حماية التراث، بالإضافة إلى خطط التنمية يمكنها أن تساعد في ضمان تحقيق الأهداف المرجوة، فبعد ثورة 17 فبراير 2011، أنجزت العديد من الأنشطة والمبادرات المدنية، وهذا راجع إلى أن المناقشة وصنع القرار أصبحتا مفتوحتين ومتاحتين أمام السكان المحليين.

ومن الواضح أن خلق الوعي بالآثار والتراث سيكون له نتائج مفيدة وفورية. فهو سيزيد من الشعور بالفخر والاعتزاز المحلي بالآثار والتراث، وهذا بدوره سيساعد في الحماية.

لا شك في أن الاستثمار في التواصل مع المجتمع، وبخاصة طلبة المدارس، سيؤدي إلى تغيير جوهري في رؤية السكان المحليين للموقع الأثري، وهذا بدوره سيعزز العلاقات بين المجتمع والفرق الأثرية والمواقع الأثرية، ويولد تكافلا شعبيًا واسعًا لحماية المواقع الأثرية.

بالإضافة إلى ذلك، فإن هذا الاستثمار سيشجع على نقل المعلومات الأثرية إلى جمهور أوسع، وأيضاً يشجع على استخدام الإيرادات المادية المحتملة من الموروث في توظيف السكان المحليين[5].

إن هذه المبادرة الموصوفة أدناه، هي مستمدة - في الأساس- من مشروع أطروحة

(4) Kenrick, P. 2011. Conservation and Presentation of Cultural Heritage: the Importance of Education. In Ensoli, S. (ed.), For the Preservation of the Cultural Heritage in Libya, a dialogue among institutions. Procedings of Conference 1—2 July 2011. Fabrizio Serra editore, Pisa/ Roma: 145.

(5) Moser, D. G. (2002). Transforming Archaeology through Practice: Strategies for Collaborative Archaeology and the Community Archaeology Project at Quseir, Egypt. World Archaeology, Vol. 34, No. 2, Community Archaeology, 223.

الدكتوراه لكاتب هذه المقالة، التي تهدف أيضًا إلى المساهمة في ثورة 17 فبراير [6]2011.

برنامج لتعريف طلبة وطالبات المدارس المحلية الدارسين بالمرحلة الثانوية بالموقع الأثري لمدينة (قورينا) (شحات):

قُدّمَ مُقترحٌ إلى مكتب النشاط بإدارة التعليم في شحات يهدف إلى نشر وعي عام وأكبر بأهمية المواقع الأثرية بمدينة قورينا. وتضمن الاقتراح الذي قبله مكتب النشاط ما يلي:

1. المحاضرات:

نُظّمت لمدارس المرحلة الثانوية بمدينة شحات عُروضٌ من قِبَل (فريق التعريف بالآثار والتراث بمراقبة آثار شحات). وقد رُكّزَ في هذه العروض على قضايا رئيسة، مثل: التعريف بالآثار الليبية وأهميتها، والقيمة الاقتصادية المحتملة على المدى الطويل للممتلكات التراثية، بالإضافة إلى التهديدات التي يتعرض لها الموروث الليبي اليوم.

من خلال هذه العروض نُبّه الطلاب إلى أن حماية المواقع والمباني الأثرية مسؤولية جميع الليبيين، لاسيما وأنهم يشكلون جزءاً من تراث مشترك، وأن حماية تراثنا واجب وطني.

2. الوسائل التعليمية:

وتشمل الخرائط والصور والرسومات، المُصمّمة لعرضها في مداخل المدارس لفترة من الزمن. وقد تضمنت الصور نماذج قديمة أُخذت من أرشيف الموقع لإحدى مناطق قورينا أو لمعلم أثري معين، بالإضافة إلى صور فوتوغرافية حديثة للمنطقة نفسها أو للمعلم الأثري نفسه؛ لغرض توضيح وتفسير مدى التغييرات التي حدثت على الموقع. وقد استُخدمت هذه الصور للمقارنة، وللشرح، ولتحليل الظواهر السلبية التي تؤدي إلى تدهور المعالم والمواقع الأثرية بشكل عام.

3. الدعوات:

كما وُجّهت الدعوة للمدارس لزيارة الموقع الأثري، وقُدّمت معلومات وشروح عن تاريخ وآثار الموقع للتلاميذ، وتضمن هذا التقديم إقامة العديد من الأنشطة، لجعل تجربة التعلم لدى الطلاب والطالبات ممتعة ومسلية ولا تُنسى.

التحديات والنتائج:

لقد أظهر البرنامج تحديات حقيقية، ليس أقلها، أن القليل منهم كانوا على استعداد لتبنيه عندما قُدّمَ. فحتى الآن، لم يُنفذ إلا عدد قليل من المحاضرات والزيارات الميدانية (الصورتان 1 و 2)، وأيضاً فإنه- ولأسباب مالية- لم تُنتج حتى الآن أيّ من الوسائل التعليمية.

تجدر الإشارة هنا إلى أنه في البداية كان الغالبية العُظمى ينتابهم الشك في أن مثل هذه البرامج ستحقق أية نتائج إيجابية، ولكن مع بدء العملية، فقد صار العديد من الزملاء مقتنعين بأهمية المبادرة. وكان دور مكتب التعليم في مدينة شحات مفيداً ومشجعاً للغاية منذ البداية، وكان ردهم الإيجابي الكبير على الاقتراح الأصلي دافعاً كبيراً ومهماً للمضي قدماً في المبادرة.

---

(6) Al-Qataani, A. 2012. (November 22). Experience is the best teacher. Correspondents.org/ ly. Retrieved 04 January 2013 from Correspondents.org: http://www.correspondents.org/node/1281.

ومما لا شك فيه أن مثل هذه المبادرات الرائدة تواجه العديد من الصعوبات والتحديات، وليس أقلها القيود المالية. فيمكن القيام بالمزيد من خلال التمويل المالي للوسائل التعليمية، بما في ذلك توفير معدات العرض والكراسي الكافية للمشاركين وإنتاج الكتيبات أو النشرات.

كان الوقت أيضاً عاملاً مقيداً، حيث كانت العروض والجولات الميدانية خارج إطار المنهج الدراسي. ولذلك نأمل في المستقبل أن تُطوّر المبادرة لتضمينها في المناهج الدراسية، وأن تُطوّر وتوسع؛ لتعمم في كل أنحاء البلاد، ولا سيما كل المدارس في ليبيا.

صورة 1. زيارات ميدانية للموقع مع المُرشد.

صورة 2. عرض في قاعة الدراسة.

كان الوقت أيضاً عاملاً مقيداً، حيث كانت العروض والجولات الميدانية خارج إطار المنهج الدراسي. ولذلك نأمل في المستقبل أن تُطوّر المبادرة لتضمينها في المناهج الدراسية، وأن

الخاتمة:

لقد أكدت نتائج هذه المبادرة أن الطريقة الصحيحة لتحقيق حماية ناجعة للموروث في ليبيا تكمن في نشر أهميته للأجيال القادمة، وربط العلاقة بين التراث والمجتمع من حيث الهوية الوطنية والثقافية والقيمة الاقتصادية، وبالتالي يمكننا تحقيق الحماية للموروث في الوقت الحالي وفي المستقبل على حد سواء.

لقد دُوِّنت أيضاً ملاحظات عدة، في نقاط رئيسة من خلال هذا العمل، وسيكون من المفيد البَناء على هذه المعرفة في المستقبل.

كان الطلاب والمعلمون مهتمين جداً بالمعلومات المقدمة حول المدينة القديمة، وصلتها بأجيال اليو م والمستقبل. ولعله من المفاجئ أن بعضهم قد أشار إلى أنه لم يسبق لهم زيارة موقع قورينا الأثري، على الرغم من إقامتهم في شحات أو في المدن والمناطق المجاورة لها أو القريبة منها.

إلا أنه لم يكن مفاجئاً- في الوقت نفسه- أن معظمهم اعترف بمعرفة القليل جداً عن الموقع الأثري للمدينة، وهذا مرده إلى أن المعلومات المتوافرة حول قورينا باللغة العربية كانت قليلة العرض، إضافة إلى ندرة البرامج الشعبية — المرئية والمسموعة على حد سواء- التي تتناول هذه المواضيع.

وعليه فإن هناك حاجة مُلحّة إلى ترجمة الأعمال المنشورة حول موقع قورينا الأثري من اللغتين الإنجليزية والإيطالية إلى العربية، لتكون متاحة للأجيال القادمة من الطلاب الليبيين، كما أن الكتيبات والكتب المصورة الجديدة مطلوبة للجميع، وللأطفال على وجه الخصوص، ويُوصَىَ باتباع هذا النوع من المبادرات في جميع أنحاء البلاد، وبدعم من مصلحة الآثار والمؤسسات الرسمية في الدولة.

إن وزارة التربية والتعليم هي شريك رسمي في مشروع موقع قورينا الأثري، ويحدونا الأمل في أن يصبح -الموروث والآثار في ليبيا، والقضايا التي تهدد المواقع التاريخية في كل أنحاء البلاد- مكوناً مهماً في المنهج الدراسي المحلي في المستقبل.

كما نأمل في ازدياد عدد الزيارات المدرسية للمواقع الأثرية والمتاحف في جميع أنحاء البلاد، نتيجة لهذه المبادرة (التوعوية) البسيطة والضرورية، وكلنا أمل أيضاً في أن المعرفة بالموارد ستولد الرغبة الوطنية لحماية تراثنا لصالح الأجيال القادمة.

شكر وتقدير:

أنا مدين للغاية للدكتور روبرت موركوت (المشرف على بحثي لأطروحة الدكتوراه بقسم الآثار في جامعة إكستر بالمملكة المتحدة)، الذي شجعني على كتابة هذه المقالة وتقديمها.

والشكر أيضاً للأستاذ فرج عبد العاطي حامد، الذي كان مراقباً لآثار شحات عندما قدمت اقتراحي الأصلي. وأود أن أعرب عن خالص امتناني للدكتور صالح العقاب رئيس مصلحة الآثار، كما أتوجه بخالص الشكر لمكتب التربية والتعليم في شحات، وخاصة إلى رمضان الإخواني بمكتب النشاط.

الشكر موصول أيضاً إلى مراقبة آثار شحات والمركز الثقافي، وراديو قورينا. وختاماً أود أن أعرب عن خالص تقديري للسيد أحمد الصابر سعدون (المدير السابق لمراقبة آثار شحات)، الذي أيد اقتراحي منذ عا م 2010 قبل ثورة فبراير، على الرغم من أننا — ومع الأسف - لم نتمكن من تنفيذه في ذلك الوقت.

إن نجاح هذا العمل يرجع إلى القدرات المتميزة للفريق الذي قا م بتنفيذه، هذا الفريق

الذي ينبغي عليّ شكره، وهم: عبد الرحيم صالح شريف، ورزق عبد الكريم عبد الله، وعلي عبد الحميد عبد السيد. وسيتكون الفريق الجديد لموسم 2012-2013 من كل من: فتحية عبدالنبي، وسعيد امحمد العنابي، وفضل عبدالعزيز المبروك.

قائمة المراجع

1. Abdulkariem, A. 2011. Factors of Deterioration at the Archaeological Site in Cyrene. In Ensoli, S. (ed.), For the Preservation of the Cultural Heritage in Libya, a dialogue among institutions. Procedings of Conference 1–2 July 2011. Fabrizio Serra editore, Pisa/ Roma: 109–110.
2. Al-Qataani, A. 2012. (November 22). Experience is the best teacher. Correspondents. org/ ly. Retrieved 04 January 2013 from Correspondents.org: http://www.correspondents.org/node/1281.
3. Bennett, P. and Barker, G. 2011. Protecting Libya's Archaeological Heritage. African Archaeological Review 25.5: 5–25.
4. Cuttler, R., Gaffney, C., Gaffney, V., Goodchild, H., Howard, A. and Sears, G. 2009. Changing perspectives on the city of Cyrene, Libya: Remote sensing and the management of the buried archaeological resource. Archéo Sciences 33 (suppl.): 65–67.
5. Kenrick, P. 2011. Conservation and Presentation of Cultural Heritage: the Importance of Education. In Ensoli, S. (ed.), For the Preservation of the Cultural Heritage in Libya, a dialogue among institutions. Procedings of Conference 1–2 July 2011. Fabrizio Serra editore, Pisa/ Roma: 145–146.
6. Moser, D. G. (2002). Transforming Archaeology through Practice: Strategies for Collaborative Archaeology and the Community Archaeology Project at Quseir, Egypt. World Archaeology, Vol. 34, No. 2, Community Archaeology, 220–248.
7. UNESCO WHC 1982. http://whc.unesco.org/en/list/190/